



ما هي الأدلة الكتابية لفريضة القداس الإلهي أو ما يعرف بالتحويل

دراسة من الكتاب المقدس

بقلم:

جلال دوس

« اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلَّهِ مُرَكَّبًا عَامِلًا لَا
يُخْزِي مُفْصَلًا كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالْإِسْتِقَامَةِ »

(٢ تيموثاوس ٢: ١٥)

« لِأَنَّنا لَا نَسْتَطِيعُ شَيْئًا ضِدَّ الْحَقِّ بَلْ
لِأَجْلِ الْحَقِّ »

(٢ كورنثوس ٨: ١٣)

« أَنْظُرُوا أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمُ بِالْفَلْسَفَةِ
وَيَغْرُرُ بِاطِلٍ حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ حَسَبَ
أَرْكَانِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ »

(كولوسي ٢: ٨)

هل من المعقول أن الخبز والخمر في القديس هما مجرد رموز روحية وأنه لا يوجد أي سند كتابي لما يسمى باستحالة الخبز إلى جسد المسيح؟

منشأ فريضة القديس بشري ولا يوجد في الكتاب المقدس أي إشارة من قريب أو بعيد إلى « القديس » الذي يقام في الكنائس اليوم. تعلم الكنائس التي تجري فريضة القديس أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد ودم المسيح فعلياً. لهذا عندما يتناول العضو القربان فإنه في الحقيقة يتناول جزءاً من جسد المسيح الفعلي ولكن في هيئة قربانة – أي هيئة الخبز. كما تعلم الكنائس أن الذبيحة التي تقدم في القديس هي ذات الذبيحة التي قدمت على الصليب، وإن كانت في هيئة مختلفة. لهذا فإنه يتم صلب المسيح وتقديمه كذبيحة – على مذبح الهيكل – بعدد المرات التي يتم فيها إقامة القديسات المختلفة في أنحاء العالم. فماذا يقول الكتاب المقدس بشأن هذه النقطة؟ إليكم الشواهد التالية: « فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً » (عبرانيين ١٠ : ١٠). « لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبِغُ بِنَا رَيْسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انْفَصَلَ عَنِ الْخَطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَوَاتِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ دَبَائِحَ أَوَّلًا عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ » (عبرانيين ٧ : ٢٦، ٢٧). « وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يُمَوِّتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدِّيُونَةَ، هَكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضًا، بَعْدَمَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلَا خَطِيئَةٍ لِلخَلَاصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ » (عبرانيين ٩ : ٢٧، ٢٨). « وَأَمَّا هَذَا (أَي الْمَسِيحِ) فَبَعْدَمَا قُدِّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ » (عبرانيين ١٠ : ١٢). هكذا يخبرنا الكتاب بأن المسيح قدم ذبيحة من أجلنا مرة واحدة فقط (لا مرات عديدة كما يشاع اليوم في كل مرة يجرى فيها القديس). فالآيات التي أوردناها أعلاه في جملتها تؤكد استحالة تكرار ذبيحة المسيح، وبالتالي تؤكد استحالة تحول الخبز والخمر في فريضة القديس إلى جسد ودم الرب يسوع.

إذا، من أين جاءت فكرة تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح الفعلي؟ جاءت هذه الفكرة خطأ من سوء فهم قول المسيح التالي: « فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، لِأَنَّ جَسَدِي مَأْكُلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ» » (يوحنا ٦ : ٥٣-٥٥). لقد تم فهم هذه الآيات خطأ على أنها دعوة إلى الأكل الفعلي لجسد المسيح والشرب الفعلي لدمه، ولم يتم إدراك المعنى الروحي لكلام الرب يسوع المسيح. فالأمور الروحية يحكم فيها روحياً وليس جسدياً. في هذه الآيات يواجه الرب يسوع المسيح أنظارنا إلى وجوب عدم إهمال تغذية أرواحنا وأن نهتم بتغذيتها تماما كاهتمامنا بتغذية أجسادنا. ولكن غذاء الروح مختلف عن غذاء الجسد. فالجسد يتم تغذيته بالخبز والماء. وأما الروح فيتم تغذيتها ليس بالخبز الأرضي وإنما بالخبز الحقيقي الذي نزل من السماء. الخبز الحي. لقد قال المسيح عن نفسه « أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا » (يوحنا ٦ : ٣٥). إذا كيف نأكل جسد المسيح ونشرب دمه روحياً؟ هل بأكل جسده وشرب دمه فعلياً؟ كلاً وألف كلاً. الخبز يغذي الجسد. أما الروح فيتم تغذيتها بكلام الرب يسوع. « الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلْتُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ » (يوحنا ٦ : ٦٣). عندما سمع بعض من تلاميذ الرب الدعوة لأكل جسده وشرب دمه، وظنوا أنها دعوة فعلية وبالمعنى الحرفي، يقول الكتاب أن كثيرين منهم وجدوا « إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ صَعْبٌ! » (يوحنا ٦ : ٦٠). ولأن كثيرين منهم لم يفهموا المعنى الروحي لكلام الرب يسوع قرروا الانسحاب وعدم الاستمرار في اتباعه. « مِنْ هَذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ » (يوحنا ٦ : ٦٦).

وهذه لم تكن المرة الوحيدة التي يسيء فيها الناس فهم كلمات الرب يسوع. فمرة عندما زاره ليلا معلم الدين الفريسي نيقوديموس — وقد كان من أساتذة اللاهوت في الأمة اليهودية — وأخبره يسوع « إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنْ فَوْقٍ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ »

التهم كلام الرب روحيا واستوعبه وهضمه كما لو كان كلام الرب وجبة شهية من الطعام. وكذلك نجد نفس هذه الحالة تتكرر مع الرسول يوحنا الحبيب في سفر الرؤيا. فقد جاءه صوت من السماء وأمره: « **اذْهَبْ خُذِ السَّفَرَ الصَّغِيرَ الْمَقْتُوحَ فِي يَدِ الْمَلَكِ الْوَاقِفِ عَلَى الْبَحْرِ وَعَلَى الْأَرْضِ. فَذَهَبْتُ إِلَى الْمَلَكِ قَائِلًا لَهُ: «أَعْطِنِي السَّفَرَ الصَّغِيرَ». فَقَالَ لِي: «خُذْهُ وَكُلْهُ، فَسَيَجْعَلُ جَوْفَكَ مَرًّا، وَلِكُنْهُ فِي فَمِكَ يَكُونُ حُلْوًا كَالْعَسَلِ». فَأَخَذْتُ السَّفَرَ الصَّغِيرَ مِنْ يَدِ الْمَلَكِ وَأَكَلْتُهُ، فَكَانَ فِي فَمِي حُلْوًا كَالْعَسَلِ. وَبَعْدَ مَا أَكَلْتُهُ صَارَ جَوْفِي مَرًّا** » (رؤيا ١٠: ٨-١٠). فهل يعقل أن نتصور قيام الرسول يوحنا بأكل السفر الصغير حرفيا، أم أن المعنى في أكله للسفر ينبغي أن يفهم روحيا؟ بالطبع المعنى الذي ينطوي على أكله للسفر هو معنى روحي صرف. فالسفر عندما قرأه يوحنا في بادئ الأمر وللوهلة الأولى، كان طعمه حلوا كالعسل. ولكنه بعد تعمقه في مضمون ما قرأه، تحولت الحلاوة إلى مرارة. فعندما نصل إلى هذه الخلاصة نكون بذلك قد فسرنا واقعة أكل يوحنا للسفر روحيا وليس حرفيا، وهكذا ينبغي أن يكون المنهاج عند دراستنا للكتاب المقدس.

إذاً بعد كل هذا كيف لنا أن نمارس فريضة عشاء الرب* بحسب تعليم الكتاب المقدس، وبعيدا عن تقليد البشر وتعليمهم؟ تأتينا الإجابة من الرسول بولس: « **لَأَنْنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُمْ أَيضًا: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لِأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي». كَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي». فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ** » (١ كورنثوس ١١: ٢٣ - ٢٦). لقد أوصانا الرب بإحياء ذكرى موته إلى أن يجيء

* عشاء الرب هو التسمية الكتابية لفريضة تناول الخبز والخمر، بينما كلمة قداس، التي تستخدم اليوم في الكنائس، لم يرد ذكرها بتاتا في الكتاب المقدس.

بواسطة هذه الفريضة المقدسة. فلولا موت ابن الله على الصليب لما كان للإنجيل أي وجود أو قوة. « فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّيِّبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخْلِصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ » (١كورنثوس ١: ١٨). فالكأس التي نشربها تذكركنا بدمه الذي يطهرنا من كل خطية. « وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يَطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ » (١ يوحنا ١: ٧).

وأما الخبز فإنه يرمز إلى جسد المسيح المكسور من أجلنا. وكيف لنا أن نستفيد روحيا من جسده المكسور من أجلنا؟ ذلك بأن نؤمن بكل كلمة خرجت من فمه ونصدقها ونحيا بها. « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ » (يوحنا ٥: ٢٤). فعندما نؤمن بكلامه ونطيعه يحل في قلوبنا الروح القدس. « الرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يَطِيعُونَهُ » (أعمال ٥: ٣٢). ومتى حل الروح القدس في قلوبنا فهو يقدرنا ويشكلنا على صورة ابنه. « لِأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بَكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ » (رومية ٨: ٢٩).

فعن طريق الاشتراك في فريضة عشاء الرب المقدس، تترسخ في أذهاننا ذكرى موت الرب يسوع من أجلنا، وما يمثله هذا الموت بالنسبة إلى المسيحي من إمكانية الغلبة الكاملة على الخطية بواسطة دمه (الكأس) والقداسة التي تنتج من حفظ كلامه (الخبز) في قلوبنا. « قَدَسَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ » (يوحنا ١٧: ١٧). أيضا « حَبَّاتُ كَلَامِكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلَا أُخْطِيَ إِلَيْكَ » (مزمور ١١٩: ١١).

ليت الرب ينير عقولنا وأذهاننا، ويملأنا من روحه القدوس لكي نتعلم كيف نطيع وصايا الله روحيا، ومن كل قلوبنا، حتى وإن كانت تتعارض مع ما اعتدنا عليه وما يعلمه الناس، متذكرين قول بطرس والرسول بأنه « يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ » (أعمال ٥: ٢٩).